هوية الشعرالجاهلي المكانية

محمد خلف مهني بدر
ماجستيرفي الأدب العربي القديم

مقدمة :

يهدف هذا البحث إلى التعرف على الهوية المكانية للشعرالجاهلي من خلال مبحثين ؛ يعرض أولهما : علاقة الذات الجاهلية بوسطها المكاني ، بينما يرصد الآخر: ما يمكن أنْ تحدثه هذه العلاقة من فاعلية للمكان في الخيال الشعري ومن ثمَّ تشكيل لشعرية المكان الجاهلي ، وقد اتخذ الباحث المنهج الفني وآلياته وسيلة للوفاء بهذا الهدف .

أولاً : علاقة الذات الجاهلية بالمكان : إنّ الغالب على المكان الجاهلي هو طابع التصحر حيث يشكل الهلال الخصيب في الشمال والحجاز في الغرب واليمن في الجنوب الغربي الجزء الأصغر في النهايات من تلك الأرض العربية[1] ؛ ومن المعروف أنّ سكان الصحاري العربية كانوا في حالة هجرة مستمرة إلى مراكز الحضارة والعمران في الشرق الأدنى والهلال الخصيب من أقدم العصور[2]، والتاريخ الجاهلي يشير إلى أنّ القوم لم يكونوا في حالة استقرار قط ، فقد كان الانتقال دائمًا من الأراضي الزراعية إلى المراعي والعكس[3] ، وذلك في عصور سحيقة حيث كانت الثقافة الأمومية ما زالت مسيطرة على المنطقة بما تفرضه من طابع الوئام مع الطبيعة وليس السيطرة عليها كطابع مميز للثقافة الأبوية[4] .

وهذا يدفعنا إلى االظن بأن المكان لم يظهر كإشكالية داخل الذهنية الجاهلية إلا مع بدايات ظهور المجتمع الأبوي المتمثل في النظام القبلي ؛ إذْ إنّ محورية الرجل في هذا المجتمع دفعته إلى النزوع إلى السيطرة على المكان ، وقد عزز هذا عجز المكان عن احتواء إنسانه نظرًا للتباين الحاد في طبيعة المكان الجاهلي خصوبة وجدبًا ، وغلبة الجدب على الخصوبة في مقابل تزايد السكان المطرد ؛ من أجل هذا كانت الظاهرة الإنسانية أكثر بروزًا من الظاهرة المكانية وكان الإنسان أقدر على احتواء المكان لا العكس ، يؤيد هذا أنّ الجاهليين لم يغلبوا الانتساب إلى المكان الطبيعي الصرف على الانتساب إلى الإنسان في تفاعله الدينامي مع المكان ؛ نجد ذلك في جنوح العقل الجمعي إلى ربط الألفاظ المشيرة إلى الوجود العربي بطبيعة المكان في تعاطيه

مع الإنسان طردًا وجذبًا أو لنقل بطبيعة الإنسان في تفاعله مع المكان تنقلا وإقامة ؛ ولنبدأ بلفظة (عرب) ومقلوبيها (عبر ، ربع) ؛ إنّ هذا الجذر اللغوي يشير بقوة إلى معنى التبدي والوجود القلق بالمكان ، فالعربي الصريح هو أعرابي صاحب نجعةوانتواء وارتياد للكلأوتتبع لمساقط الغيث[5]، والأعراب . وهم جرثومة العرب . ساكنو البادية الذين لا يقيمون في الأمصار[6]، وقد يكون الأصل في لفظة (عرب) الانتساب إلى (عربة)التي نشأ (إسماعيل) وربل وأولاده فيها وأقامت قريش بها[7] ؛ وهو انتساب رفضه (الرافعي) حيث يرى أنّ الصحيح قدم اللفظة في اللغات السامية ودلالتها على معنى البدو والبادية لنزوحهم في تاريخهم القديم عن أرضهم الأولى . جهة العراق . إلى الجزيرة[8]، ومما يدعم هذا الرأي أنّ أول ظهور لاسم (عرب) كان في أخبار الملك الآشوري (شليمنصر الثالث) وتظهر فيها دلالة التبدي مقرونة بالقبائل العربية[9]، وهو ما يوافق دلالة اللفظة في نصوص العهد القديم[10] ،مما يجعل أغلب الباحثين مجمعين على قدم البداوة بالنسبة للعرب[11]، هذا ويمكن التوفيق بين ما أشار إليه اللغويون من انتساب العرب إلى (عربة) وبين دلالة التبدي بترجيح كون هذا العلم المكاني مشتقًا من اللفظ الدال على هذا الجنس البشري الذي كان موسومًا بالنجعة والتنقل قبل وجوده في ذلك المكان .

هذا ويكاد يجمع النسابون على أنَّ لفظة(العرب) تعد علمًا على العرب جميعًا من أهل مدر أو وبر[12]، وذلك استنادًا فيما يبدو على النص القرآني الذي استخدم لفظة (عربي) بدلالة قومية تشمل (العرب) جميعهم قبالة (أعجمي) التي تشمل ما دونهم[13] ، فإذا ما تجاوزنا ذلك وجدنا أنَّ هناك علمين آخرين تنضوي قومية العرب في إهابهما (قحطان) ، (عدنان) وبالرجوع إلى جذريهما اللغوي نجد أولهما متعلقًا بجدب المكان إذا قحط[14] ،والآخر متعلقًا بالمكان إذا عدنت به الإبل والناس أي توطنته ولم تبرحه[15]، وبالتأمل في الوزن الصرفي لهذين العلمين نتبين قلقهما المكاني نظرًا لامتناعهمامن الصرف، وهذا القلق المفضي للامتناع لم يلحقهما إلا بتغشي العنصر الإنساني بهذين الجذرين على ضعف منه وعجز عن السيطرة على المكان بالحضور الإنساني الفاعل كالذي نجده في بعض المشتقات.

إنَّ هذا الانطباع عن علاقة الوجود العربي في بداياته بالمكان يتأسس إذا تأملنا تحلل القومية العربية من وحدتين يمثلهما القحطانيون والعدنانيون إلى وحدات أخري في تزايد مطرد تسمى (القبائل) والتي نادرًا ما نجد في الأعلام الدالة عليها نسبًا يربطها بالمكان ، إنما هي في جلها منتسبة إلى (رجل) انحدرت القبيلة من صلبه[16]، والغريب أنَّ المجتمع الجاهلي بأكمله انضوى تحت هذا النظام القبلي[17] رغم تباين أفراده من حيث التنقل والاستقرار، فالمفهوم أنَّ طابع التبدي الغالب على الأعراب بتأثيرالعامل المكاني يلجئهم إلى الاحتماء بلُحمة النسب ، ولكن من غير المفهوم أنْ يسلك نفس هذا المسلك سكان الحواضرالعربية فمن المفترض أنْ يكون ارتباطهم بالمكان ألوط إذْ هو لهم أكثر طواعية للاستثمار البشري ، فلماذا إذن لم يغلُب الانتسابُ إلى المكان الحضري الانتسابَ إلى القبيلة؟!

الجواب على هذا السؤال يتطلب منَّا مراجعة مفهومنا عن البادية والحاضرة، إنَّنا نخطي عندما نظن أنَّ سكان البوادي مرتحلون أبدًا وراء مساقط الغيث لا يعرفون الاستقرار، كما نخطئ أيضًا عندما نظن أنَّ سكان الحواضر مستقرون أبدًا لا يستهويهم التنقل في الفيافي ، إنَّ ثمة تداخل بين حياة التحضر وحياة التبدي وسم الثقافة الجاهلية بطابع عام هو طابع الصراع بين المتضادات المتداخلة؛ يشهد بذلك طبيعة المفردة اللغوية التي غالبًا ما تتسع لدلالات متضادة متداخلة مما يعني تخلفها في بيئة غير وحدوية النمط المعيشي.

وإذا تأملنا الحركة الطوافة التي فرضتها البيئة الجاهلية على القبائل المتبدية والتي كان أغلبها قبائل الشمال العدنانية[18] أدركنا أنّها ليست حركة في متاهة بدون مركز بحيث تكون منبتة عن المكان الثبوتي انبتاتًا مطلقًا فيغدو معها الإنسان ذاتًا بلا مأوى ، يدفعنا إلى مثل هذا الإدراك ما يعرف بـ(أرحاء العرب) وهي قبائل استقلت بنفسها واستغنت عن غيرها[19]، نظرًا لأنَّها أحرزت دورًا ومياهًا لم يكن للعرب مثلها ولم تبرح من أوطانها ودارت في دورها كالأرحاء على أقطابها إلا أنْ ينتجع بعضها عام الجدب[20] ، كما أننا نلمح في الشعر الجاهلي إشارات دالة على نوع من تملك قبائل البدو لأمكنة قارَّة ، من ذلك مجابهة (زهير بن أبي سلمى) لبني تميم عندما بلغة عزمهم على (غطفان) وذلك بقوله متغنيًا بمنازل الغطفانيين:

ألا أبلغ لديك بني تميم وقد يأتيك بالخبر الظنون
بأنّ بيوتنا بمحل حَجْر بكل قرارة منها نكون
إلى قلهي تكون الدارمِنّا إلى أكناف دومة فالحجون
بأودية أسافلهن روض وأعلاها إذا خفنا حصون[21]

وكذا قول (الأخنس التغلبي) مشيرًا إلى اختصاص كل قبيلة من القبائل الشمالية المتبدية بموضع معين تلجأ إليه وتمتنع به:

لكل أناس من معد عمارة عروض إليها يلجؤون وجانب
لكيزٌ لها البحران والسيف كله وإنْ يأتها بأس من الهند كاربُ
وبكرٌ لها ظهر العراق وإنْ تشأ يحلُّ دونها من اليمامة حاجبُ
وصارت تميمٌ بين قف ورملة لها من حِبال منتأى ومذاهب
وغارت إيادٌ في السواد ودونها برازيق عجم تبتغي من تضاربُ[22]

هذا ومما يشير أيضًا إلى ارتباط القبائل المتبدية بالأمكنة القارة ما يعرف بـ (دارات العرب) وهي أرض واسعة بين جبال وتعد من بطون الأرض المنبتة ،وقدعدَّ (الأصمعي) منها عشرين دارة[23]،في حين ذكر(الحموي) ما ينيف على ستين دارة[24]، وهي أماكن تنزل فيها القبيلة لكونها سهلة لينة غالبًا تنبت فيها الصليان والأعشاب والنباتات الصحراوية[25]، وتتناثر في أشعار الجاهليين أسماء هذه الدارات في سياقات ذات دلالة واضحة على الارتباط بها ، كـ(دارة جلجل)[26] و(دارة خنزر)[27] و(دارة الصفائح)[28] ، والملاحظ على الشعرية الحاوية لهذه الدارات أنَّها شعرية مفعمة بالحضورالإنساني أكثرمنها مسكونة بالغياب كما في سياق(الطلل) مما يعني تحقق الارتباط بهاموضوعيًا ، الأمر الذي يجعل ورودها نتاجًا لتداع مكاني منظم وفارغ أكثر منه حر ومكثف.

هذا ونجد في الشعر الجاهلي ما يشير إلى نوع من الرغبة في الاستقرار المكاني ، من ذلك امتداح الإقامة في الديار رغم قسوة الظروف ؛ ذلك قول (الحادرة):

ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا زمنًا ، ويظعن غيرنا للأمرع[29]

وقريب منه قول (سلامة بن جندل) مفتخرًا بحبس الأبل في دارالحفاظ :

يقال محبسها أدنى لمرتعها ولو تعادى ببكء كل محلوب[30]

كما نجد (عمرو بن شأس) يمتدح إقامة قومه في ديارهم رغم حلول الجدب بها ، ذلك بقوله:

نقيم بدار الحزم ليس مزيلنا مقاساتنا فيها الشصانص والأزلا[31]

وكذا نجد (خراشة العبسي) يفتخر بطول أمد إقامة قومه في دار الحفاظ ؛ هذا قوله:

وأطول في دار الحفاظ إقامة وأربط أحلاما إذا البقل أجهلا[32]

ومما يشي أيضًا بنوع من ارتباط القبائل المتبدية بالمكان ما نجده في شعرهم من ألفاظ دالة على ملكية المكان ، من ذلك قول (النابغة الذبياني):

إنَّا أناس لاحقون بأرضنا فالحق بأصلك خارج بن سنان[33]

وكذا قول (زهير **بن** ابي سلمى) مخاطبًا بني تميم:

فقري في بلادك إنَّ قومًا متى يدعو بلادهم يهونوا[34]

وبالطبع يجب ألا نظن القوم خارقين للعادة فنتوهم أنهم كانوا يلازمون أمكنة قبائلهم رغم انتفاء أسباب الحياة بها ، فإنَّ ما أوردناه في شعرهم آنفا مما يشير إلى هذا المعنى لا يعدو أنْ يكون تجميلاً حُلميًا لقبح الواقع والذي فرض عليهم التنقل والنجعة واللجوء إلى الجوار أيام القحط والرعي ،وكذا التفرق في مواضع شتى ، فقد نعلم هذا مما يعرف بـ(السواقط) وهي قبائل متبدية كانت تأتي (اليمامة) للتمروالزرع[35]، حيث كانت ترجع لبلدانها إذا ما أدركت حاجتها واطمأنت إلى توفر أسباب بالحياة بأمكنتها التي نزحت عنها ؛ نعلم هذامن قول (أوس بن حجر) المتسق مع منطق الأشياء:

أقيم بدار الحزم ما دام حزمها وأحر إذا حالت بأنْ أتحولا[36]

ونجد في كلمة (زمنًا) المتحفظة ما يؤيد هذا المعنى في قول (الحادرة) :

ونقيم في دار الحفاظ بيوتنا زمنًا ، ويظعن غيرنا للأمرع[37]

ننتقل الآن إلى القبائل القارة التي عرفت الاستقرارالمكاني، فنجد أنَّ أكثرها من القبائل القحطانية الجنوبية والتي كانت مستقرة في اليمن ثم انتقلت في سائر جزيرة العرب لأسباب طبيعيةأوسياسية[38]، فالملاحظ أنَّ أكثر القرى والحواضرالعربية في الجاهلية من قبائل اليمن وأنها اختلفت عن نظيرتها من قرى القبائل العدنانية في نجاحها في تكوين حكومات مركزية وجيوش نظامية مدربة[39]، ولكن يجب ألا نظن عدم معرفة القحطانيين للتبدي مطلقا فقد كانت قبائلهم تستعمر الأمكنة حتى تتكاثر وتضيق بهم مواضعهم فينزحون بطونا وأفخاذًا فحيثما آنسوا فرجا استقروا فإنْ لم يكن لجأوا إلى التبدي[40] .

وأيًا كان الأمر فإنَّ احتفاء الجاهليين بالتحضر يبدو خافتًا يشير إلى ذك إكبار الحضريين لحياة التبدي مما يدعوهم إلى إرسال أبناءهم إلى البوادي فترة الرضاع والصِّبا[41]، وهو ما جعل غالبية الجاهليين تألف البادية أكثر من إلفهم البلاد والقرى[42]، هذا الإلف يبدو أنّهم اختاروه طوعًا ولم ينزلوا عليه قسرًا ؛ يدفعنا إلى هذا التصور ما نعلمه من أنَّ القبيلة كان لها في كثير من الأحيان حياتان : حياةُ حضر مستقرة ، وحياة بدو متنقلة ، من ذلك ما يعرف من تمييز بين قريش الأباطح ، وقريش الظواهر[43]، وكذا انقسام (جهينة) قسمين: قسم يسكن الوبر نواحي جبلي رضوى وعزور ، وقسم آخر يسكن(ينبع) القرية المشهورة بالخصب[44]، ومثل ذلك (نهد) فقد سكن قسم منها الوبر في جبلي رضوى وعزور ، وقسم آخر سكن المدر في قرية (الصفراء)[45] ، وكذا (مزينة) سكن قسم منها جبل(ورقان) وجبلي (القدسين) وجبلي (نهبان) بينما سكن الأقل منها قرية (الفرع) رغم أنها قرية (الفرع) رغم أنها قرية كبيرة (غنَّاء) [46]كما نجد (عامر) قد فضلت التبدي عن أنْ تشارك (ثقيف) بلهنية حاضرتها في الطائف[47] ، وغير ذلك الكثير[48]؛وقد نجد في شعر الجاهليين مصداق هذه الأخبار المشيرة إلى توزع القبيلةالواحدة وترددها بين حياتي التبدي والتحضر،من ذلك قول (سلمة الأنماري):

فإنَّ بني ذبيان حيث عهدتهم بجزع البتيل بين باد وحاضر[49]

وكذا قول (عمرو بن شأس الأسدي) :

لنا حاضر لم يحضر الناس مثله وبادٍ إذا غدوا علينا البواديا[50].

هذا وقد نجد في أسماء الحواضر ما يدل على القلق الإنساني بالمكان ، من ذلك ما في لفظة (يثرب) من إيحاء باللوم والتعيير والفساد[51]، وما في (مكة) من إشارة إلى ندرة الماء[52]، ولعلَّ فيما ورد من حديث عن النبي(ص) من نهي عن التعرب واعتباره من الكبائر[53]ما يشير إلى تأصل طابع التبدي في نفوس القوم جميعًا، وإذا بحثنا عن تفسير لميل الشخصية الجاهلية إلى البداوة وجدنا غير سبب ؛ من ذلك ما يراه د(جواد على) من توسع وتضخم القبيلة مما يجعل من الصعب البقاء في منازلها ويضطرها إلى الانتشار والتنقل[54]، في حين يرى (جرجي زيدان) أنَّ سبب ذلك حب الجاهليين للحرية وتمكنها من طباعهم خلافًا لما يقتضيه التحضر من التكلف[55] ؛ ومما يؤيد هذا الرأي ما نعلمه من كراهة القوم للمهن وكل ما من شأنه الارتباط بالمكان الجغرافي بما ينتقص من قيمة المكان الإنساني ، وقد بلور النبي الكريم(ص) هذا المعنى بقوله مشيرًا إلى آلة الحرث :" لا يدخل هذا بيت قوم إلا دخله الذل"[56] وهذا بالطبع من كراهته(ص) أنْ تُفتتن الأمة بالزراعة وتنشغل بها عن الجهاد ،وما يعنينا من الحديث النبوي ما يوحي به من ندرة الانشغال بالزراعة عهدئذ وهو ما يتوافق مع قول الإخباريين باشتغال الكتابيين بها وبغيرها من الحرف دون العرب[57] الأمر الذي جعل الجاهليين يحتقرون ممتهني هذه الحرف، ويعدون كل من لم يكن راعيًا أو جنديًا من ساكني القرى نبطيًا[58] ؛ وقد يكون من أسباب ميلهم إلى التبدي أيضًا اعتقادهم بأنَّ لزوم الحاضرة يؤدي إلى الإصابة بالأمراض ،وذلك لماهومعروف بينهم من أنَّ بيئة القرى مرتع للأوبئة المستوطنة للمستنقعات[59] ؛ الأمر الذي فصَّله (الجاحظ) بذكره لاشتهار القرى بالأمراض مثل : حمى خيبر ، وطحال البحرين ، ودماميل الجزيرة ، وجرب الزنج[60] ؛ في حين أنهم كانوا يعتقدون أنَّ البادية بيئة مثالية لتمام العافية[61] وكذا لرجاحة العقل[62] .

هذا وقد حفلت شعرية الجاهلين بما يشير إلى إكبارهم للتبدي ودوافع هذا الإكبار ؛ من ذلك تفضيل (الحارث المري) تبدي قومه الغطفانيين على تحضر القرشيين ؛يشير إلى هذا قوله:

فلو أنّي أشاء لكنت منهم وما سيَّرت أتبع السحابا[63]

وقد عَدَّ (ابن الزبعري) اشتغال القرشيين بالتجارة وانصرافها بذلك عن طبيعة الحياة الرعوية المتبدية مدعاة لهجوها بقوله :

ألهَى قصيًا عن المجد الأساطيرُ ورشوة مثل ما ترشي السفاسير

وأكلها اللحم بحتا لا خليط له وقولها رحلت عيرٌ أتت عيرُ(64)

وفي ذلك إعلاء لحياةالانتجاع التي تربو بالنفوس عن التقيد بمقتضيات التجارة من ولع بالمكسب المادي وتداعياته السلبية على المروءة ؛ ومن هنا نفهم سبب تغني (ابن منقذ الثوري) بتعرب قومه وعلاقة ذلك بعزتهم ؛ في قوله:

لنا إبلٌ لم يطمث الذل نيبها بعربة مأواها بقرن فأبطحا(65)

وقد رأى (حاتم الطائي) في توطن بني بدر أعنّة رواحلهم مدعاة لمدحهم بقوله:

الضاربين لدى أعنتهم، الطاعنين ، وخيلهم تجري(66).

في حين يرى في موضع آخر أنَّ توطن الأقوام للبيوت فيه ضرركبيرعليهم ، ذلك حيث يقول:

إذا أوطن القوم البيوت وجدتهم عماة عن الأخبار خرق المكاسب(67)

ومما يشير كذلك إلى أنفة الجاهلين من بيئة الحواضر ما يوحي به قول (لبيد) واصفا تنكب قوم (أسماء) عن دخول قرية كانت في طريقهم رغم مشقة الرحلة :

فصدهم منطق الدَّجاج عن العهـ ـد وضرب الناقوس فاجتنبا(68)

و(لبيد) في هذا معبرٌعن ذهنية كانت ترى أنَّ ثبوتية المكان تنمي في المرء رذائل الأخلاق ؛ وقد استمرَّ تأثير هذه الذهنية في ملمحها هذا ردحًا في تشكيل ثقافة العرب ، يدل على هذا قول (المتنبي) معتدًا بعدم ملازمته للمكان، وغناه بنفسه عن التعلق بالأوطان ؛ هذا قوله :

غني عن الأوطان لا يستخفني إلى بلدٍ سافرت عنه إياب(69)

و(المتنبي) في قوله هذا لا يصدر عن ذوق خاص به وإنّما عن ثقافة ضاربة بجذورها إلى بواكير الوعي العربي؛ ولعل هذا ما حدا ب (الغذامي) إلى وصفه بـ(الأب النسقي) لكونه المترجم الأكبر لضمير النسق الثقافي العربي(70) ،فقد كانت هذه الثقافة ترى أنَّ المروءة قرينة التنقل

والانصراف عن المكان ؛ في قبالة ارتباط ثبوتية المكان بسمات الخسَّة والوضاعة ؛ يشير إلى هذا قول (عمرو بن معدي كرب) :

ومن يشرب بماء العبل يغدر على ما كان من حمّى وراد[71].

وقد حذر (العباس بن مرداس) صراحة من الاطمئنان إلى ساكني الحواضر؛ بقوله:

فلا تأمنن بالعاذ والحلف بعدها جوار أناس يبتنون الحواضر[72]

وقريب من ذلك قوله في موضع آخر مشيراً إلى اتصاف أهل الحواضر بالغدر والخيانة:

وفي هوازن قوم غير أنَّ بهم داء اليماني فإنْ لم يغدروا خانوا[73]

ثانيًا:شعريةالمكان الجاهلي : نخلص من إطلالتناعلى علاقة الجاهلي الموضوعية بجغرافية المكان بتبيننا أنَّ هذه العلاقة كانت بينَ بينْ ، فلم يكن الجاهلي ملازمًا المكان لزومًا كاملا ولا منعتقاً منه انعتاقًا كاملا ، فقد كانت الحركة جسرًا بين ثبوتية المكان وتنقله، وعندما تكون الحركة جسرا بين طرفين متضادين فإنَّه من الطبيعي أنْ ينتفي معها أحادية النمط وقد يدفعنا هذا التصور إلى الزعم بصعوبة تحديد هوية الشعر الجاهلي المكانية فلا يستقيم القول بأنَّه نتاج بيئة حضرية تضرب بجذورها في المكان إذْ إنَّ تمثل الحضور المكاني في هذا الشعر يبدو باهتا في مقابل تمثل الغياب المكاني في حركة المصرفة عن المكان مما أدى إلى خفوت النزعة الوطنية المرتبطة بمكان بعينه غير مكان الغياب لدى الجاهلي ، وفي المقابل لا يمكن القول بأنَّ الشعرالجاهلي كان نتاج بيئة بدوية جافية منبتة الصلة بالمكان، وذلك لأنَّ شعرية القوم غالبًا كانت متماسكة تعبرعن الملاء المكاني في حركته وتشابك علاقاته وقمة الحضارية

ولكن يمكن القول بأنَّه نتاج البيئتين وهو إلى البيئة البدوية أقرب ، ندرك ذلك إذا تأملنا جغرافية الجزيرة العربية وتوزع شعراء الجاهلية على مواضع التبدي والتحضر بها ؛ فنجد أنفسنا أمام هذه المناطق : نجد ، الحجاز ، والعراق ، والبحرين ، واليمامة ، وتهامة ، واليمن ، والشام؛ هذا وقد رصد (زيدان) تنقل الشعر في هذه الاقاليم فوجد أنَّ شعراء الجاهلية خمساهم من (نجد) والخمس الثالث من (الحجاز) والرابع من (اليمن) ، والباقي من (العراق) وفئة قليلة من (البحرين) و(اليمامة) و (تهامة)[74] ؛ وذلك على اعتبار أنَّ قبائل: كندة ، أسد ، مزينة ،

عبس، سلم ، عامر ، طيء، وجشم ، وضبيعة ، سعد ، ضبَّة ، جعدة ، باهلة ، تميم، عكل ، بكر ، جرة ، نبهان من(نجد) وأنَّ : ذبيان ، وهذيل ، والأوس ، الأزد من (الحجاز) ،و أنَّ يشكر ، وتغلب ،والعباد ، وتميمًا، وبكراً وإيادًا من (العراق) ، وأنَّ: بكراً ، وضبعًا من (البحرين) ، وأنَّ بني ثعلبة من (اليمامة)، وأنَّ مزينة من (تهامة)[75] ؛ بذلك يكون (زيدان) متجاهلا بيئتي (اليمن) و(الشام) كموطنين لشعراء الجاهلية ، وقد نفهم ذلك التجاهل بالنسبة لبيئة اليمن في ضوء ما أخبر به (ابوعمروبن العلاء) بقوله:" ما لسان حمير وأقاصي اليمن اليوم بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا"[76] وعلى ذلك لا يمكن تصور وجود شعراء لقبائل اليمن إلا بعد هجرتهم للشمال ومخالطتهم للقبائل العدنانية واستبدالهم اللسان العدناني باللسان القحطاني ومُضي فترة على ذلك حتى يتمكنوا من قرض الشعر، وهي قضية لها اتصال بتحديد هوية العرب العاربة والمستعربة وكذا بعربية القرآن الكريم[77] .

وأما عن بيئة (الشام) فيبدو أنَّ (زيدان) لم يعتدّ بها كموطن للشعرية الجاهلية لفقرها الشديد من الشعراء علي الرغم من أنَّها ضمت قبائل كثيرة كـ:غسان، بهراء،كلب، قضاعة ، تنوخ ، وأنَّ لسانها هو اللسان العدناني وإنْ كان أغلبها قبائل قحطانية ؛وقد علل د(جواد) ذلك الجدب الشعري لتحضرهذه القبائل وتأثرها بالنصرانية وثقافة بني إرم[78]، لما هو معروف من استقرارها في حواضر حضرية كبيرة مثل دمشق وحمص وحلب وقنسرين[79]ولم أعثر في شعراء الجاهلية من ينتسب إلى الغسانيين إلا ما وجدته في (الأمالي) من حديث عن (الشيظم بن الحارث الغساني)[80] نفهم منه تصعلك الشاعر وغلبة التبدي على حياته.

وقد يُقال: إنَّ بيئة (العراق) مثلها مثل بيئة (الشام) في التحضروالاستقرار[81]، ومخالطتهم للنبطيين والفرس[82] حتى لان لسانهم وسهل منطقهم كما يقول (ابن سلام[83]) أو ثقل نطقهم بالعربية كما يقول (ابن قتيبة) [84]؛ فلماذا إذن لم تجدب شعريا كما (الشام)؟! يخبرنا د(جواد علي) أنَّ عرب (العراق) كانوا عربا وأعراباً، عربهم في قرى عربية ورجال دينها نصارى علموا العربية في كنائسهم وتفقهوا في علوم العربية ، أما أعرابهم فكان على سمة الأعراب من ميل الاستقلال والاعتزار بالنفس[85] وقد غلبت النزعة الأعرابية على ملوك الحيرة لقلة تأثرهم

بالحضارة في مقابل تغلب الحياة الحضرية على الغساسنة وتأثرهم بالحياة اليومية للروم ونزعتهم في الحكم والسلوك[86] .

والملاحظ فيما سبق تاثر النقاد القدامي–ابن سلام وابن قتيبة– في حكمهم على شعرية الجاهليين بعامل المكان من تبدي وتحضر ؛ في إكبارواضح لشأن البادية كموطن للشعر في أعلى مستوياته اللغوية والفنية ؛ يتعضد ذلك الأمر بقول (الجاحظ) "تمام آلة الشعر أنْ يكون الشاعر أعرابياً"[87] وكذا ما نقله (الأصمعي) عن (أبو عمروبن العلاء) من قوله:" أفصح الشعراء لسانًاوأعذبهم أهل السروات وهن ثلاث ، وهي الجبال المطلة على (تهامة) مما يلي (اليمن) فأولها (هذيل) ، وهي تلي السهل من (تهامة) ثم بجيلة السراة الوسطى وقد شركتهم (ثقيف) في نهاية منها، ثم سراة الأزد (أزد شنوءة)"[88] ومن ثم نجد علماء اللغة ورواة الشعرقد جمعوا مادتهم من جفاة الأعراب وأخذوا من القبائل التي بعدت عن أطراف الجزيرة وبقيت في سرة البادية ،ولذلك لم يأخذوا عن حضري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن اطراف بلادهم المجاورة ، فلم يؤخذ من لخم ولا جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط ولا من قضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام[89].

ويبدو أنَّ (ابن سلام) في حديثه عن تنقل الشعر في القبائل من (ربيعة) ثم تحوله إلى (قيس) ثم استقراره في(تميم) إلى مجئ الإسلام[90] كان يقصد تأثره بالعامل المكاني وليس النسب لأنَّ القبائل المذكورة جميعها عدنانية بفرعيها : ربيعة ، ومضر– قيس وتميم[91]– ومن المعروف أنَّ ربيعة سكنت العراق والبحرين بخلاف (مضر) التي غلب عليها التبدي في نجد وتهامة والحجاز وحتى من نزح منهم إلى العراق أقام في البادية [92] وقد سمَّى (أبو الفرج) لمضر وحدها سبعة وستين شاعراً، في حين سمَّى لربيعة ثلاثة عشر شاعراً فقط[93] على ما نعلمه عنه من توسع في هذا الأمر[94] ،ومما يجعلنا ايضًا نرجح انشغال (ابن سلام)بالعامل المكاني في رصده لتنقل الشعرفي القبائل تعليله لتفاوت القبائل في الشعر بعامل البداوة والحضارة يظهر ذلك في قوله :" وبالطائف شعر وليس بالكثير وإنَّما يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، والذي قلل شعر قريش انهم لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر عمان"[95] إلا أنَّ هذا

العامل المكاني يخالفه بشدة (الجاحظ) حيث يرى أنَّ (الأوس والخزرج) و(عبد قيس) أهل مدر؛ سكنت الأولى يثرب والأخرى بقرى البحرين، ومع ذلك لهم نبوغ في الشعر ؛ حتى أنَّ (عبد القيس) لم تنبغ في الشعروهي في سرة البادية بل حدث لها ذلك بعد استقرارها في البحرين في حين أنَّ (بنو حنيفة) وهم أهل مدرا ايضًا—سكنت اليمامة— ليس لهم حظ في الشعر رغم كثرة وقائعهم منتهيًا إلى أنَّ مرد النبوغ في الشعر إلى قدر ما قسم الله للناس من الحظوظ والغرائز(96).

ونحن نفهم أن الله–سبحانه– يجعل الحظوظ نتاجًا لأسباب؛ وهوما يدفع إلى التمعن أكثر في معيار تفاوت القبائل في الشعرالذي اتخذه كلا الشيخين—ابن سلام والجاحظ– فنجد أنَّ المعيار هو الكثرة والقلة مرتبطاً بمعاش القبيلة من حيث التبدي والتحضر، وأنَّ مخرجات هذا المعيار هوسهولة ولين شعرالحواضرفي مقابل صعوبة وصلابة شعر البوادي(97)، إلا أنَّ المتأمل في النتاج الشعري لكلتا البيئتين لا أحسبه يقرُّ بمثل هذا المعيار؛لأنَّه سيجد لينًا وسهولة في بعض شعر البوادي،وصلابة وصعوبة في بعض شعرالحواضر، بل قد يجد اعتمال التبدي والتحضر في القصيدة الواحدة ، والأغرب أنَّه قد يجد صدرالبيت حضريًا وعجزه بدويًا فمن اللين والسهولة في بعض شعر البوادي قول ابي ذؤيب الهذلي:

أمن المنون وريبها تتوجع ؟ والدهر ليس بمعتب من يجزع

قالت أميمة : ما لجسمك شاحبًا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع ؟

أم ما لجنبك لا يلائم مضجعًا إلا أقضّ عليك ذاك المضجع(98)

لا أظن احدًا عنده علم متواضع باللغة ويسمع هذه الأبيات وينكر شيئا من ألفاظها ، أو تزور عينُه عن روح الانكسار التي تتملك معانيها ؛ والامر ليس ذاته عندما نمضي مع أبي ذؤيب إلى هذه الأبيات:

أكل الجميم وطاوعته سمحج مثل القناة وأزعلته الأمرع

بقرار قيعان سقاها وابل واهٍ فأثجم برهة لا يقلع

فلبثن حينًا يعتلجن بروضة فيجدُّ حينًا في العلاج ويشمع(99)

فنجد أنفسنا لائذين بالمعاجم اللغوية نفتش عن دلالات هذه الألفاظ الوحشية والتي تضعنا وجهًا لوجه أمام بداوة المكان الجاهلي ، ثم نجد الامر بينَ بينْ عندما نسمع قوله:

وتجلدي للشامتين أريهم أنِّي لريب الدهر لا أتضعضع[100]

إنَّ سهولة ألفاظ صدر البيت تتساوق مع المعنى في الإشارة إلى بيئة حضرية ، تتجاورفيها المنازل وتتعقد فيها أحوال الناس نتيجة كثرة بطون القبيلة ، بحيث يتباعد النسب بما يجعل الشاعرموضعا لشماتة الآخرين في مصابه؛الأمرالذي نجد نقيضه في عجزالبيت،فصعوبة ألفاظه تتآزرمع المعنى في الإشارة إلى بيئة بدوية تكثر فيها الشدائد ويُمتدح فيها صلابة النفس في مواجهتها ؛والباحث قصد في استشهاده ذاك إلى أعرق قبيل في البادية وهو (هذيل) وإلى اكثر شعراء هذا القبيل شهرة بالتبدي فيما تواترت الأخبار[101]، وفي المقابل نعمد إلى شاعر حضري النشأة والمعاش والممات[102] حتى حقر علماء اللغة الاستشهاد بشعره في ضبط قواعد اللغة[103] ،وذلك لقربه من الريف وسكناه الحيرة[104] ، فالعرب لا تروي شعره لأنّ ألفاظه ليست بنجدية، ولبعده عن جلافة البادية وجفاء الأعراب[105] فمن المفترض ألا نجد في شعره خشونة الصحراء لما يظنه البعض من أنَّ شعر الحضارة ألطف من شعر البداوة [106] ، ولكن كل ما تقدم يبدو قلقا عندما نسمع قول عدي:

قد تبطنت وتحتي جسرة تخلط المشي تعادي كالْفَرَدْ
مصرخ الديك بكفي جرشع سابغ أسفله ضخم الكند
هيج البوع إذا هيجته يخلط المعج بتقريب وشد
فانبرى أحقب يتلو أربعًا لاحق الأيطل في قاع جلد
صيب التعشير زمزام الضحى ناسل عقته مثل المسد[107]

إننا نجد الروح الأعرابية جاثمة في هذه الأبيات لفظًا ومعنى ، فلا نكاد نرصد فرقًا نوعيًا بين صورة الناقة التي اجتمعت الأوابد من فرس وثور وحمار وحشيين لرسم ملامحها عند (عدي) عن صورة الدهر التي تأزر الحمار الوحشي وأتانه في تقريبها لدى (أبو ذؤيب)، ولكنَّا لا نجد مثل هذه الروح البدوية في قوله في مفتتح القصيدة:

من لقلب دنفٍ أو معتمد قد عصى كل نصيح ومُفَد

لستُ في سلمى ولا جاراتها سامعًا فيها إلى قول أحد

راعني منها بنانٌ ناعمٌ كسيور القدِّ في مثل البرد(108)

ما أشبه هذا القول بشعر (عمربن أبي ربيعة) ، إننا نلمح نفس روح التكلف الحضرية والتي تظهر جلية في خطة المعنى المسبقة ولهاث اللفظ لتأديتها ، فإذا هما معًا–اللفظ والمعنى– حضريان ؛ اللفظ بسهولته ، والمعنى باستقراره ؛ الأمر الذي لا نجده متحققًا في قوله:

ومجود زعل ظلمانه كرجال الحبش تردي بالعمدْ(109)

إنَّ صدر البيت مُقتطع من بيئة البادية لفظًا ومعنى بخلاف عجزه الذي يحكى البيئة الحضرية النصرانية بأحد طقوسها.

وهكذا يتبين لنا أنَّ الحكم على شعرية المكان البدوي أو الحضري من خلال صعوبة اللفظ وخشونة المعنى في مقابل سهولة اللفظ ولطف المعنى أمرٌلا يمكن الاطمئنان إليه؛ وهو ما يضعنا أمام سبيلين ؛ الأول : ما ذهب إليه د(طه حسين) ومن قبله من المستشرقين من انتحال أكثرالشعر الجاهلي اعتمادا في هذه الدعوى على ما ذهب إليه القدامى من ارتباط الشعرية الجاهلية بالمكان البدوي في غالبة خشونة وصعوبة وبالمكان الحضري في أقله لطفا وسهولة ؛ وهو ما صاغه د. (طه حسين) بمقياس: غرابة اللفظ ، وبداوة المعنى مضيفاً إليها مقياسًا مركبًامتمثلا في الخصائص الفنية المشتركة لطائفة من الشعراء جمعتهم ظروف واحدة ضاربًالذلك مثلا وهو المدرسة الشعرية التي جمعت أوسًا وزهيرًا والحطيئة وكعبًا. (110)

وأما السبيل الأخر فهو الاعتماد على شعرية المكان لا مكان الشعرية ، أي على فاعلية المكان في الخيال الشعري، وليس فاعليته في الأداء اللغوي من لفظ ومعنى، تفصيلا؛ فالشاعر لا يصدر في أدائه اللغوي من ارتباط شرطي بالمكان الذي يحيا في إطاره بقدر ما يصدر من وعي خاص بالطبيعة المكانية للغة؛ هذا الوعي تسيره المخيلة وفقًا لإحدى استراتيجيتين : إمّا استراتيجية ضدية مع المكان المعيش، وإمّا استراتيجية توافقية مع هذا المكان ، والملاحظ على الشعر الجاهلي أنّه نتاج تداخل كلتا الاستراتيجيتين ؛ حيث إننا نجد في شعرية المكان البدوي حركة مفرطة تعتمل في بُني القصيدة مما يتوافق مع طبيعة الارتحال المتواتر في انصرافه عن

المكان؛ إلا أننا نجد أيضًا نوعًا من الملاء المكاني الظاهر في التواشج العلائقي بين بني القصيدة ، وهو ما يتضاد مع طبيعة المكان الصحراوي الذي يغلب عليه الفراغ والتفتت ، وفي المقابل نجد في شعر الحواضر نوعًا من الاستقرار الثبوتي الجاثم في بنية القصيدة مما يتوافق مع طبيعة الحياة المستقرة في القرى ،إلا أننا نجد كذلك فراغًا مكانيا يظهر في فقر التشكيل المكاني الذي تعاني منه الصورة ويجعلها مسطحة مما يتضاد مع طبيعة المكان الحضري المعقد بكثرة الإشغالات المكانية وتداخلها.

قد يكون هذا الأمر نتاجًا لتداخل البيئتين كما ألمحنا آنفًا وهنا يجب علينا التنويه إلى أنه رغم هذا التداخل الجغرافي والفني إلا أنّه يمكن تمييز شعرية المكان البدوي من الحضري من خلال المعنى الشعري في حركته الساعية إلى غير هدى في المكان الأول وفي حركته المستقرة الموجهة وفقًا لفكرة ما في المكان الآخر ؛ وحتى يتضح الأمر أكثر علينا إعادة التأمل في شعرية أبي ذؤيب فنجد أنّ الأبيات الأولى التي قلنا إنَّ سهولة ألفاظها ومعنى الأفكار فيها يجعلها قريبة من شعرية المكان الحضري ؛ تكون بعد تتبع المعنى الشعري في عفويته وحركته المفرطة – نتاجًا لكثرة أفعال الحركة والمشتقات العاملة – وكذا ملاحظة انتقال المعنى النمطي لا النوعي في انصراف فجائي من فكرة إلى أخرى في باقي القصيدة بحيث يكون المعنى الشعري له فاعلية في تغييره للبني المكانية المتمثلة في الأفكار ؛ أقول بعد تتبع هذا المعنى الشعري نكون قادرين على الحكم ببدوية شعرية المكان في القصيدة بكاملها لا يمنعنامن هذا سهولة لفظ أو لطف معنى ؛ وفي المقابل عندما نعيد تأمل شعرية (عدي) والتي حكمنا ببدويتها نظرًا لصعوبة ألفاظها وبداوة معانيها نجد أنّ المعنى الشعري بها في حالة استقرار ثبوتي نتاجًا لشيوع الجمل الاسمية ؛ وقيام الأفعال الماضية (تبطنت ، هيج ، انبرى) ذاك الطابع الثبوتي كإطارمعطل من غلواء حركة الأفعال المضارعة والمشتقات العاملة (تخلط ، تعادي ، يخلط ، يتلو ، لاحق ، المعج، ناسل) فضلا عن اتخاذ المعنى الشعري في تنقله في باقي القصيدة حركة موجهة في غيرمباغتة أو عفوية ؛ هذه الحركة التي تفرضها طبيعة المكان الحضري تجعل اللفظ تابعًا للمعنى لا رفيقًا له تمنعه من تلك الرفقة تفنن العقلية الحضرية في وضع الحواجز لتنظيم المكان وما ينجم عن ذلك من قصور اللفظ عن متابعة البني المكانية للأفكار والربط بينها.

هكذا يكون تصورنا للفارق بين تداعيات المكان البدوي والحضري في الشعرية الجاهلية ، وهو ما يمكن البناء عليه كأساس نظري للتمييز بين هذه الشعرية التي كانت البادية متنًا لها وبين شعر ما بعد الجاهلية الذي انحسرت فيه تلك البادية إلى هامش للحياة العربية بعد أنْ صارت الحاضرة متناً لها ؛ وعلى ذلك تكون دراسة شعرية المكان كفيلة للكشف عن طبيعة التغير الذي طرأ على العقل العربي في نقلته من طور البداوة إلى طور الحضارة من ناحية ، ودحض دعوى الانتحال وعقم الشعر الجاهلي عن التعبير عن الحياة الجاهلية من ناحيةأخرى.

هوامش البحث وتعليقاته :

1-انظر أطلس الحضارة الإسلامية : إسماعيل الفاروقي،مكتبة العبيكان ،الرياض، ط1 ، 1998م .ص 35.
2- انظر مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : د.طه باقر،دارالوراق، بغداد ، ط2 ، 2012م .ص90.
3-انظرأطلس الحضارة الإسلامية : ص35.
4-انظر مغامرة العقل الأولى:فراس سواح، دارعلاء الدين، دمشق ، سوريا ، ط11، 1996م ص 94 ، 95.
5-انظرتهذيب اللغة:الأزهري،ج2، تحقيق:علي هلالي،مطابع سجل العرب،القاهرة،د.ط،د.ت، مادة(عرب).
6-انظرلسان العرب:ابن منظور،ج31، تحقيق:عبدالله الكبير، دارالمعارف،القاهرة، د.ط ، د.ت .مادة (عرب)
7- انظرمعجم البلدان : ياقوت الحموي ، ج4، دارصادر،بيروت، لبنان ، د.ط ، 1977م ص96 ومابعدها .
8-انظرتاريخ آداب العرب : الرافعي ، ج1، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000م . ص40 .
9-انظرمقدمة في تاريخ الحضارات القديمة : د.طه باقر ، ص92 .
10-راجع الكتاب المقدس(العهدالقديم) : سفرأشعياء ، إصحاح13 ، آية20.
11-انظرالمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام :د.جوادعلي،ج1،ساعدت جامعة بغداد على نشره ، العراق ، ط2 ، 1993م .ص25 ، 26 .
12-انظرجمهرة أنساب العرب:ابن حزم، تحقيق :عبدالسلام هارون،دارالمعارف،القاهرة،ط3،1971م ص461
13- ذلك قوله تعالى:"ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إله أعجمي وهذا لسان عربيٌ مبين" سورة النحل: آية 103.
14- انظر لسان العرب: ابن منظور ، ج 39 ، مادة (قحط).
15-انظر المعجم نفسه : ج 31 ، مادة (عدن).
16-انظرنهاية الأرب في معرفة أنساب العرب: القلقشندي،دارالكتاب المصري، القاهرة ، ط3،1991م ص21

17-انظر جمهرة أنساب العرب : ابن حزم ، ص 7 ، وما بعدها.
18- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد علي ، ج5 ، ص 344 وما بعدها
19-انظر لسان العرب : ابن منظور ، ج17 ، مادة (رحا)
20- انظر العقد الفريد : ابن عبد ربه الأندلسي ، ج3 ،تحقيق د. عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983م ، ص289.
21- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى ، صنعة ثعلب ، دار الكتب المصرية ، ا لقاهرة ط2، 1995، ص184
22- المفضليات ، تحقيق محمد وشرح : أحمد شاكر،دارالمعارف،القاهرة،ط6،د.ت،ص 204 : 206
23- انظر لسان العرب : ابن منظور ، ج15 ، مادة (دور)
24- انظر معجم البلدان : ياقوت الحموي ، المجلد الثاني ، حرف الدال ، ص 424 : 431.
25- انظرتاريخ العرب القديم : د. توفيق برو ، دار الفكرالمعاصر ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1996م ، ص30
26-ديوان امرئ القيس :تحقيق:أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف ، القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1969م .ص10.
27- راجع ديوان النابغة الجعدي :حققه: د. واضح الصمد دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998م ، ص 96
28-راجع ديوان الأفوة الأودي:تحقيق:د.محمد التونجي، دار صادر ، بيروت، ط1 ، 1998، ص 103
29- ديوان شعر الحادرة : ، حققه: د.ناصرالدين الأسد، مستل من مجلة معهد المخطوطات العربية ، مجلد 15 ، ج2 ، د.ت ، ص 312 .
30- ديوان سلامة بن جندل :صنعة ابن حسن الأحول،دارالكتاب العربي، بيروت، ط1994،1م ،ص23 ،24.
31- شعرعمرو بن شأس الأسدي : تحقيق د. يحيى الجبوري، دار القلم، (الكويت) ،ط2، 1983م ، ص 39
32- المفضليات : ص 405.
33- ديوان النابغة الذبياني :تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ط2 ، د.ت .ص 198.
34- شرح ديوان زهير بن أبي سلمى: ص 192.
35- انظر كتاب الديباج : لأبي عبيدة المثني ؛ تحقيق : د. عبد الله بن سليمان الجربوع وآخر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1991م ، ص54 ، 67 ، 68 .
36- ديوان أوس بن حجر : تحقيق: د.محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ،1979، ص83.
37- ديوان شعر الحادرة : ص 312
38- انظر تاريخ أداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، ج1 ، دار الهلالي ، القاهرة ، د.ط ، د.ت ، ص40
39- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد على ، ج5 ، ص 412
40- انظر كتاب العرب قبل الإسلام :جرجي زيدان ،ج1،مطبعة الهلال ،مصر، ط2، د.ت ، ص 180 ، 181
41- انظر السيرة النبوية : ابن هشام ، القسم الأول، تحقيق: مصطفى السقا،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1955م . ص 162 ،163
42- انظر تاريخ نجد :الألوسي، تحقيق: مصطفى السقا،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1955م . ص 162 ،163ص 41 ،42.
43- انظر لسان العرب: ابن منظور ، ج2 ، مادة (بطح) ، ج28 ، مادة (ضحا)
44- انظر كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها : عرَّام بن الإصبع السلمي ، تحقيق : عبد السلام هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن ، القاهرة ،ط1 ، 1373هـ ، ص 7
45- انظرالمرجع نفسه : ص 7 ،8
46- انظر المرجع نفسه : ص 16 :19
47- انظر معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ج4 ، حرف الطاء ، ص 11.
48- للوقوف بشكل واف على أسماء القرى التي يكون أهلها جزأين متضادين يرجى مراجعة كتاب: صفة جزيرة العرب :الهمداني: تحقيق محمدالأكوع ،مكتبة الارشاد،صنعاء،اليمن، ط1990،1م ، ص 237 .
49- المفضليات : ص 36 .
50- شعر عمرو بن شأس : ص85
51- انظر لسان العرب : ابن منظور ، ج6 ، مادة (ثرب).
52- انظر المعجم نفسه : ابن منظور ، ج46 ، مادة (مكك).

53- انظر صحيح البخاري : دار ابن كثير ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2002م . رقم الحديث 7087 ، 1754 .
54- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : ديوان علي ، ج4 ، ص 334.
55- انظر تاريخ أداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، ج1 ، ص 73.
56- انظر صحيح البخاري : رقم الحديث 2321 ، ص 558.
57- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد على ، ج7 ، ص 543 وما بعدها .
58- انظر معجم البلدان : ياقوت الحموي ، ج4 ، ص 97.
59- انظر معجم البلدان : المجلد الثاني ، ص 410 .
60-انظرالبيان والتبيين:الجاحظ ج4،تحقيق:عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة،ط7، 1998م ص135.
61- انظرنهاية الأرب:النويري،ج1،تحقيق: د.مفيد قميحة، دارالكتب العلمية، بيروت، ط4 ، 2001م ص272
62- انظر لسان العرب : ابن منظور ، ج3 ، مادة (بدا)
63-المعاني الكبير:ابن قتيبة،ج3 تقديم :عبدالرحمن اليماني،دارالكتب العلمية،بيروت،1984م، ص 522
64-شعرعبد الله بن الزبعري:تحقيق :د. يحيي الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1981،2م ، ص 37.
65- معجم البلدان : المجلد الرابع ، ص 97
66- ديوان حاتم الطائي: شرحه: أحمد رشاد،دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2002م ، ص 26.
67- ديوان حاتم الطائي : ص9 .
68- ديوان لبيد : ص31 .
69 ديوان المتنبي : دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1983م . ص 479.
70- انظر النقد الثقافي :عبدالله الغذامي ،المركزالثقافي العربي ،المغرب ،ط3،2005م،ص 125
71- شعرعمرو بن معدي كرب الزبيدي: جمعه:مطاع الطرابيشي،مجمع اللغة العربية بدمشق ، سوريا ، ط2، 1985 ، ص 113.

72- ديوان العباس بن مرداس:حققه:د.يحيي الجبوري،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1991م، ص 79.
73- المصدر نفسه :ص155.
74- انظر تاريخ أداب اللغة العربية : جرجي زيدان ،ج1 ، ص 62 ،63
75- انظر المرجع نفسه : ص 70 :72
76-طبقات فحول الشعراء :ابن سلام ،تحقيق: محمود شاكر،مطبعة المدني ،القاهرة،د.ط،1974م ص11
77- للتعرف على ملابسات هذه القضية يرجى مراجعة : المفصل : د. جواد علي ،ج8 ، ص562: 610
78- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د.جواد علي ، ج9 ،ص 426 ،427
79-انظر فتوح البلدان :البلاذري، حققه:أنيس الطباع،مؤسسةالمعارف،بيروت،د.ط،1987م،ص149
80- انظركتاب ذيل الأمالي:أبوعلي القالي،قدم له:محمدالاصمعي،دارالكتب العلمية،بيروت،د.ط،د.ت،ص179
81-يشير إلى هذا المعنى قول الأعشى : وكنت امرأًزمنًا بالعراق عفيف المناج ، طويل التغن ، شرح ديوان ا لأعشي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، ص 213 .
82-انظرالبدو:ماكس أوبنهايم ، ترجمة:محمود كيبو، تحقيق: ماجد شبر،دارالوراق،لندن،ط2007،2م ص259
83- انظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي ، السفر الأول، ص 140
84-انظرالشعروالشعراء:ابن قتيبة ج1تحقيق:أحمد محمد شاكر، دارالمعارف،القاهرةط2 ، 1967م .ص 225
85- انظر المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د . جواد علي ، ج9 ،ص 428
86- انظر البدو : ماكس أوبنهايم ، ج1 ، ص411 وما بعدها .
87- البيان والتبيين : الجاحظ ،ج1 ، ص 94
88- العمدة في صناعة الشعر ونقده :ابن شيق القيرواني ج1مطبعة السعادة، القاهرة ، ط1 ، 1907م . ص 55
89- انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها : جلال الدين السيوطي ، ج1 ، شرحه وضبطه : محمد أحمد جاد المولى وآخرون ، مكتبة دار التراث ،القاهرة ، ط3، د.ت، ص 211 ،212.
90- انظر طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي ، السفر الأول ، ص40
91- راجع نهاية الأدب في معرفة أنساب العرب : القلقشندي ، ص 188 ، 259 ، 43
92 - انظر صفة جزيرة العرب : الهمداني ، ص 75 ، 83 ،128 ، 174 ، 202 ،221 ، 246 ، 250 .

93- انظر في الأدب الجاهلي : د. طه حسين ، مطبعة الفاروق ، القاهرة ، ط3 ، 1933م ، ص 269،
94- ندرك هذا التوسع من خلال ما ذكره من شعر منسوب إلى جديس وإلى جرهم – رجع كتاب الأغاني : لأبي الفرج الأصفهاني ، ج25، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2008م . ص 316 وما بعدها .
95- طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي ، السفر الأول ، ص 259
96- انظر الحيوان:الجاحظ ،ج4تحقيق :عبدالسلام هارون،مكتبةالبابي الحلبي القاهرة ط2 ، 1966م . ص381
97- يبدو أنَّ القدامي ربطوا بين التبدي وخشونة الألفاظ وجفائها لما اعتقدوا من أن ذلك نتاج طبيعي لاعتياد الأعراب لمخاطبة الإبل والتغذي باللبن والإقامة في الأخيبة .راجع : يتيمة الدهر: الثعالبي ، ج1 ، تحقيق : د.مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983 ص198.
98- شرح أشعار الهذليين : صنعة ابي سعيد السكري ، ج1 ، حققه : عبد الستار فراج ، راجعه : محمود محمد شاكر ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، د.ط ، 1965م ، ص 4 ،5.
99- المصدر نفسه : ص 13 ،14
100- نفسه : ص 10
101- راجع : المزهر في علوم اللغة العربية وأنواعها : السيوطي ، ج2 ، ص 483
102- انظر تاريخ اليعقوبي : ج1 ، مطبع بريل ، ليدن ، هولندا ، د.ط ، 1883م ، ص 241وما بعدها.
103- انظر الأغاني : الأصفهاني ، ج2 ، ص 63وما بعدها ،وكذا : الشعر والشعراء :ج1 ،ص225
104- انظر يتيمة الدهر : الثعالبي ،ج4، ص7
105- انظر الشعر والشعراء : ابن قتيبة ، ج1 ، ص 230 وما بعدها .
106- انظر تاريخ أداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، ج1 ، ص78
107- ديوان عدي بن زيد العبادي:حققه:جابرالمعيبد،دارالجمهورية،بغداد،العراق،د.ط، 1965م ، ص44
108- المصدر نفسه : ص42
109- ديوان عدي بن زيد : ص 43
110- انظر في الأدب الجاهلي : د. طه حسين ، ص 272 : 283 .

قائمة المصادروالمراجع :

1. **الأزهري** : تهذيب اللغة ، تحقيق :علي حسن هلالي، مطابع سجل العرب ، القاهرة ، مصر ، د.ط ، د.ت
2. **إسماعيل الفاروقي** : أطلس الحضارة الإسلامية ، مكتبة العبيكان ،الرياض، ط1 ، 1998م
3. **الأعشى** شرح ديوان ا لأعشي، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، لبنان ، ط1 .
4. **الأفوه الأودي** : ديوان الأفوة الأودي:تحقيق:د.محمد التونجي، دار صادر ، بيروت، ط1 ، 1998م
5. **الألوسي** : تاريخ نجد ، تحقيق: مصطفى السقا،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1955م .
6. **امرؤ القيس**: ديوان امرئ القيس :تحقيق:أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ،القاهرة ، مصر ، ط3 ، 1969م
7. **أوس بن حجر**: ديوان أوس بن حجر : تحقيق: د.محمد يوسف نجم ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ،1979
8. **البخاري** صحيح البخاري : دار ابن كثير ، دمشق ، سوريا ، ط1 ، 2002م
9. **البلاذري : فتوح البلدان :البلاذري، حققه:أنيس الطباع،مؤسسةالمعارف،بيروت،د.ط،1987م**
10. **د.توفيق برو تاريخ العرب القديم** : ، دار الفكرالمعاصر ، بيروت لبنان ، ط2 ، 1996م .
11. **الثعالبي** : يتيمة الدهر، ج1 ، تحقيق : د.مفيد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1983.
12. **الجاحظ** :البيان والتبيين ج4،تحقيق:عبدالسلام هارون مكتبة الخانجي القاهرة،ط7، 1998م .
13. **جرجي زيدان** : تاريخ أداب اللغة العربية : جرجي زيدان ، ج1 ، دار الهلالي ، القاهرة ، د.ط ، د.ت
14. **جلال الدين السيوطي** :المزهرفي علوم اللغة وأنواعها،شرح:محمدجاد المولى،دارالتراث،القاهرة، ط3، د.ت،.
15. **د.جواد علي** :المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام،ساعدت جامعة بغداد على نشره ،العراق ، ط2 ، **1993م** .
16. **حاتم الطائي** : ديوان حاتم الطائي: شرحه: أحمد رشاد،دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2002م
17. **الحادرة** : : ديوان شعر الحادرة ، إملاء : أبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي عن الأصمعي ، حقَّقه وعلَّق عليه : د. ناصر الدين الأسد ، مُستل من مجلة معهد المخطوطات العربية ، القاهرة ، مصر ، مجلد 15 ، ج2 ، ، د.ط ، د.ت
18. **ابن حزم الأندلسي** : جمهرة أنساب العرب، تحقيق :عبدالسلام هارون ،دارالمعارف، القاهرة، ط3 ، 1971م .
19. **الرافعي** : تاريخ آداب العرب ، دارالكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 2000م .
20. **ابن رشيق القيرواني** : العمدة في صناعة الشعر ونقده ج1مطبعة السعادة، القاهرة ، ط1 ، 1907م
21. **ابن الزبعري** : شعرعبد الله بن الزبعري:تحقيق :د. يحيي الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1981،2م
22. **زهيربن أبي سلمى**: شرح ديوان زهير، صنعة ثعلب ، دار الكتب المصرية ، ا لقاهرة ط2، 1995
23. **السكري** : شرح أشعار الهذليين،حققه : عبد الستار فراج ، مكتبة دار العروبة ، القاهرة ، د.ط ، 1965م .
24. **ابن سلام الجمحي** : طبقات فحول الشعراء :ابن سلام ،تحقيق: محمود شاكر،مطبعة المدني ،القاهرة،د.ط،1974م
25. **سلامة بن جندل** :ديوان سلامة بن جندل :صنعة ابن حسن الأحول،دارالكتاب العربي، بيروت، ط1994،1م
26. **د.طه باقر** : مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ، دار الوراق ، بغداد ، العراق ، ط2 ، 2012م .
27. **العباس بن مرداس** : ديوان العباس بن مرداس:حققه:د.يحيي الجبوري،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط1، 1991م
د.طه حسين : في الأدب الجاهلي، مطبعة الفاروق ، القاهرة ، ط3 ، 1933م
28. **ابن عبدربه** : العقد الفريد، تحقيق د.عبد المجيد الترجيني ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ط1 ، 1983م.
29. **أبوعبيدة المثنى** : كتاب الديباج ؛ تحقيق : د. عبد الله بن سليمان الجربوع وآخر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط1 ، 1991م .
30. **عدي بن زيد** : ديوان عدي بن زيد العبادي:حققه:جابرالمعيبد،دارالجمهورية،بغداد،العراق،د.ط، 1965م .
31. **عرام السلمي** : كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها ، تحقيق : عبد السلام هارون، مطبعة أمين عبد الرحمن ، القاهرة ،ط1 ، 1373هـ

32. **عمروبن شأس** : شعرعمرو بن شأس الأسدي : تحقيق د. يحيى الجبوري، دار القلم، (الكويت) ،ط2، 1983م
33. **عمروبن معدي كرب** : شعرعمرو بن معدي كرب الزبيدي: جمعه:مطاع الطرابيشي،مجمع اللغة العربية بدمشق ، سوريا ، ط2، 1985.
34. د.الغذامي : النقد الثقافي :عبدالله الغذامي ،المركزالثقافي العربي ،المغرب ،ط2005،3م
35. فراس سواح : مغامرة العقل الأولى، دارعلاء الدين، دمشق ، سوريا ، ط11، 1996م.
36. أبوالفرج الأصفهاني : كتاب الأغاني ، ج25، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط3 ، 2008م .
37. القالي : كتاب ذيل الأمالي:أبوعلي القالي،قدم له:محمدالاصمعي،دارالكتب العلمية،بيروت،د.ط،د.ت
38. **ابن قتيبة** : المعاني الكبير،ج3 تقديم :عبدالرحمن اليماني،دارالكتب العلمية،بيروت،1984م.
39. القلقشندي: نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ، دارالكتاب المصري، القاهرة، ط3، 1991م .
40. ماكس أوبنهايم : البدو،ترجمة:محمود كيبو، تحقيق: ماجدشبر دار الوراق، لندن، ط2، 2007م
41. المتنبي : ديوان المتنبي : دار بيروت للطباعة والنشر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1983م
42. المفضل الضبي : المفضليات ، تحقيق محمد وشرح : أحمد شاكر،دارالمعارف،القاهرة،ط6،د.ت.
43. ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق : عبدالله علي الكبير وآخرين ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ط ، د.ت .
44. النابغة الجعدي : ديوان النابغة الجعدي :حققه: د. واضح الصمد دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1998م
45. النابغة الذبياني : ديوان النابغة الذبياني :تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف ، القاهرة ، ط2،د.ت
46. النويري : نهاية الأرب تحقيق: د.مفيد قميحة، دارالكتب العلمية، بيروت، ط4 ، 2001م
47. **ابن هشام** :السيرة النبوية ، تحقيق: مصطفى السقا،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، القاهرة ، مصر ، ط2 ، 1955م .
48. الهمداني : صفة جزيرة العرب،تحقيق : محمدالأكوع ،مكتبة الارشاد، صنعاء،اليمن، ط1990،1م .
49. ياقوت الحموي : ، معجم البلدان ، دارصادر ، بيروت ، لبنان ، د.ط ، 1977م .
50. اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي : ج1 ، مطبع بريل ، ليدن ، هولندا ، د.ط ، **1883**م .